بالفرنسية.

أما وزير الدفاع الفرنسي هيرنو، الذي كان في القاهرة في الوقت نفسه فقد صرح بأن التعاون العسكري بين مصر وفرنسا في أحسن حال وأفضل صورة. وكرر كلام شيسون نفسه تقريباً بأن فرنسا حريصة على مساعدة مصر بسبب مركزها المتميز في الشرق الأوسط وإسهامها الفعال في السلام، ولأن فرنسا لا تستطيع أن تبني أي شيء في الشرق الأوسط دون مصر. ووافقت الحكومة الفرنسية على بيع ٢٠ طائرة ميراج ٢٠٠ (أحدث نموذج) بقرض قيمته ٥٧٠٠ مليون فرنك وبشروط تجعله أقرب إلى الهبة. وفي ١٩٨٢/١/٢٣، وصل إلى القاهرة رئيس الأركان الفرنسي على رأس وفد عسكري لاجراء مباحثات حول التعاون المصري الفرنسي في مجال استخدام الأسلحة الفرنسية وتصنيعها في مصر. ولكي ندرك أهمية العلاقة الجديدة بين مصر الرئيس مبارك وفرنسا ميتران، يحسن أن نقرأ، بعناية، افتتاحية جريدة **لوموند**، في ١٩٨٢/١/٥، المفعمة بالفرحة ونغمة الثقة بالمستقبل الوردي. إذ ورد فيها أنه: «يخيل الى المرء أنه عاد الى عهد الرئيسين ديستان والسادات **قبل** اتفاقيات كامب ديفيد... حيث كان من المستطاع القول ان البلدين استعادا روح العهود الخديوية التي كان فيها تحديث مصر وتحريرها يجدان التشجيع والمساندة من فرنسا».

وفي ١٩٨٢/١/٢٧، قال شيسون في مؤتمر صحافي: «إن موت السادات المفاجيء والصاعق جاء مثل البرق في سماء صافية (...) وحينما استطاع الرئيس مبارك تأكيد سلطته وانتهج الطريق الديمقراطي، كنا سعداء كثيراً».

لا عجب بعد ذلك ان كان هيغ قد وجد ــ كما يبدو ــ من الحكومة المصرية موقفا لم يستطع أن يقنع به بيغن رغم «مكوكه» المزدوج بين القاهرة والقدس المحتلة هذا الشهر...

وفي هذا الشهر أيضا، زار وزير التخطيط والبيئة الفرنسي الجزائر في ١٩٨٢/١/١٧، حيث تم التوقيع على اتفاقية للتعاون الصناعي. وقدرت قيمة المشاريع الصناعية الجزائرية التي سوف تكلف فرنسا بعقودها بمبلغ ١٠ مليارات من الفرنكات.

ولكن الأهم من ذلك كانت الغزوة الفرنسية في السعودية بعد الاشاعة بأن المملكة سوف تدفع ثمن طائرات الميراج التي ووفق على توريدها لمصر. وكانت التحليلات (*MEED*، ٨١/١٢/١٨) قد أشارت قبل ذلك إلى أن الشركات الاميركية تخسر فرصا في السعودية بسبب أخطائها الاستراتيجية، ولأن الصورة السلبية عن العرب التي يقدمها الاعلام الاميركي تحدث رد فعل عند أصحاب الأموال السعوديين.

مَنْ يملأ الفراغ؟ في ١٩٨٢/١/٢٨ زار وزير الدفاع الفرنسي الرياض ووقع مع نظيره السعودي على عقود بناء بعض المنشآت البحرية وتوسيع اخرى. وهذا العقد تتمة لصفقة تسلح ضخمة تزود فرنسا السعودية بمقتضاها بفرقاطات صاروخية وسفن امداد وطائرات هليكوبتر بقيمة اجمالية مقدارها ٢,٥ مليار فرنك. وهو الثاني من نوعه، إذ سبقه آخر تم توقيعه في أواخر ١٩٨٠.

غير أن فرنسا تبذل جهوداً، لكي تظهر كصديقة للجميع في الشرق الأوسط، في الوقت نفسه الذي تتبع فيه سياسة أنانية خاصة، وان هذه الجهود توقعها في مواقف متناقضة وتعرضها للنقد الشديد والشكوك من جوانب كثيرة. ولقد قال شيسون في القاهرة: «ان القرارات الخاصة بضم الجولان تعطي أهمية خاصة للجلاء عن سيناء» وللمساهمة الفرنسية في القوة متعددة الجنسية، الأمر الذي أثار احتجاج سوريا. ونقلت إذاعة **صوت العرب** في القاهرة (١٩٨٢/١/١٢) أن دول الخليج تتشاور حول ضرورة اتخاذ موقف من فرنسا بعد هذا التصريح، بالاضافة الى تصريحاته السابقة عن تخلي فرنسا عن المبادرة الاوروبية.

وكذلك كان الأمر بالنسبة لزيارة ميتران لاسرائيل. فقد أجلت بعد ضم الجولان (١٩٨٢/١/٥). ولكنها لم تلغ بدعوى ضرورة الحوار مع اسرائيل من أجل السلام (**تصريح شيسون** في ١٩٨٢/١/٢٧). ويرتبط هذا الموقف المزدوج بالسياسة الفرنسية المزدوجة نفسها في الامم المتحدة؛ حيث أعلنت أن ضم الجولان باطل ولكنه ليس تهديداً للسلام (تصريح شيسون **للمنداي مورننغ**، ١٩٨٢/١/٢٥). واستقبال ميتران لفهد القواسمه ومحمد ملحم (١٩٨٢/١/١٩) تبعه افتتاحه، في اليوم التالي،